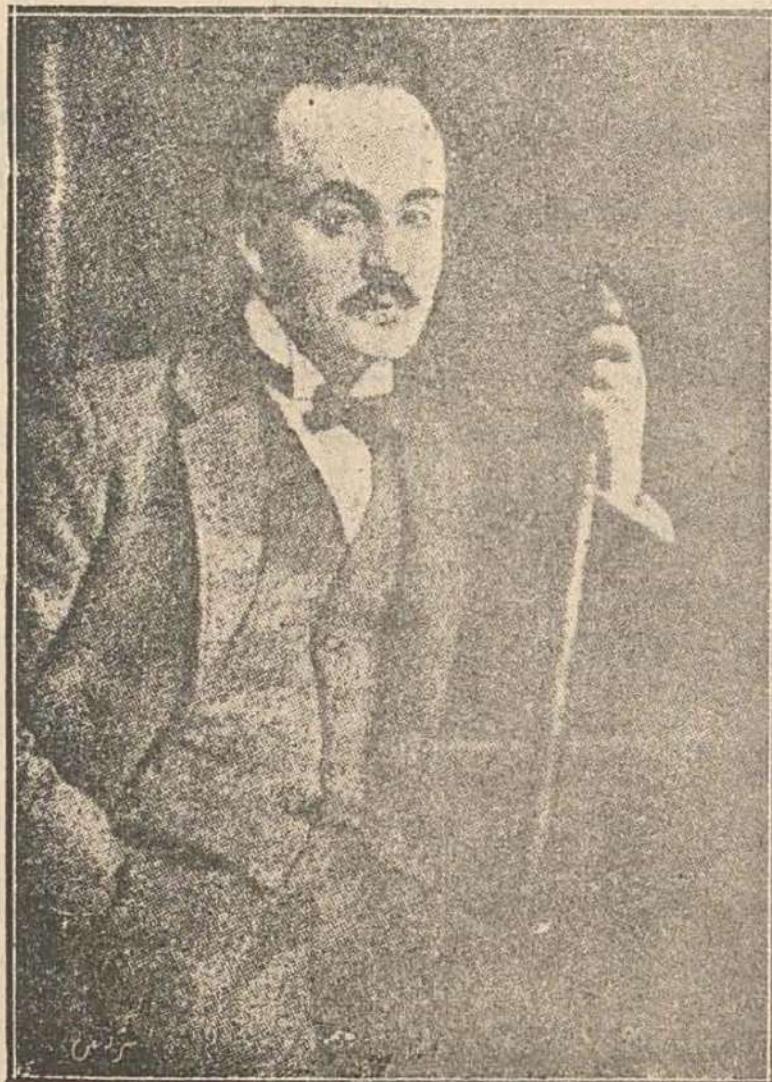


ليلة في الارض

- حول حفلة جبران -

تَرَ اللِّيَالِيْ تَبَاعَا وَالْأَيَام سَرَاعَا وَالإِنْسَان يَكُدْ وَيَجْدُ فِي هَذِهِ الْحَيَاة وَيَتَعَلَّلْ
بِالْأَمَال وَيَبْنِي الْقَصُور وَالْعَلَالِيْ وَإِذَا بِهِ أَمَامَ الْمَوْت الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَد وَلَوْ كَانَ
مِنْ أَعْظَمِ الْجَبَارِين إِلَّا غَلَبَهُ وَحِينَئِذٍ يَرِيْ وَلَوْ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ أَنْ جَهَادَهُ وَكَفَاحَهُ
ذَهَبْ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ آثَارٌ خَالِدَةٌ وَأَعْمَالٌ صَالِحةٌ خَلَدَ فِي الْحَيَاتِيْنِ وَإِلَّا
فَعَاقِبَتْهُ (مَهَاتْ لَا يَشَابِهُهُ مَهَاتْ) . وَمِنْ جَمِيعِ رِبَّيْنِ الْحَسَنِيَيْنِ فَقِيدُ لِبَنَانِ بِالْأَمْسِ

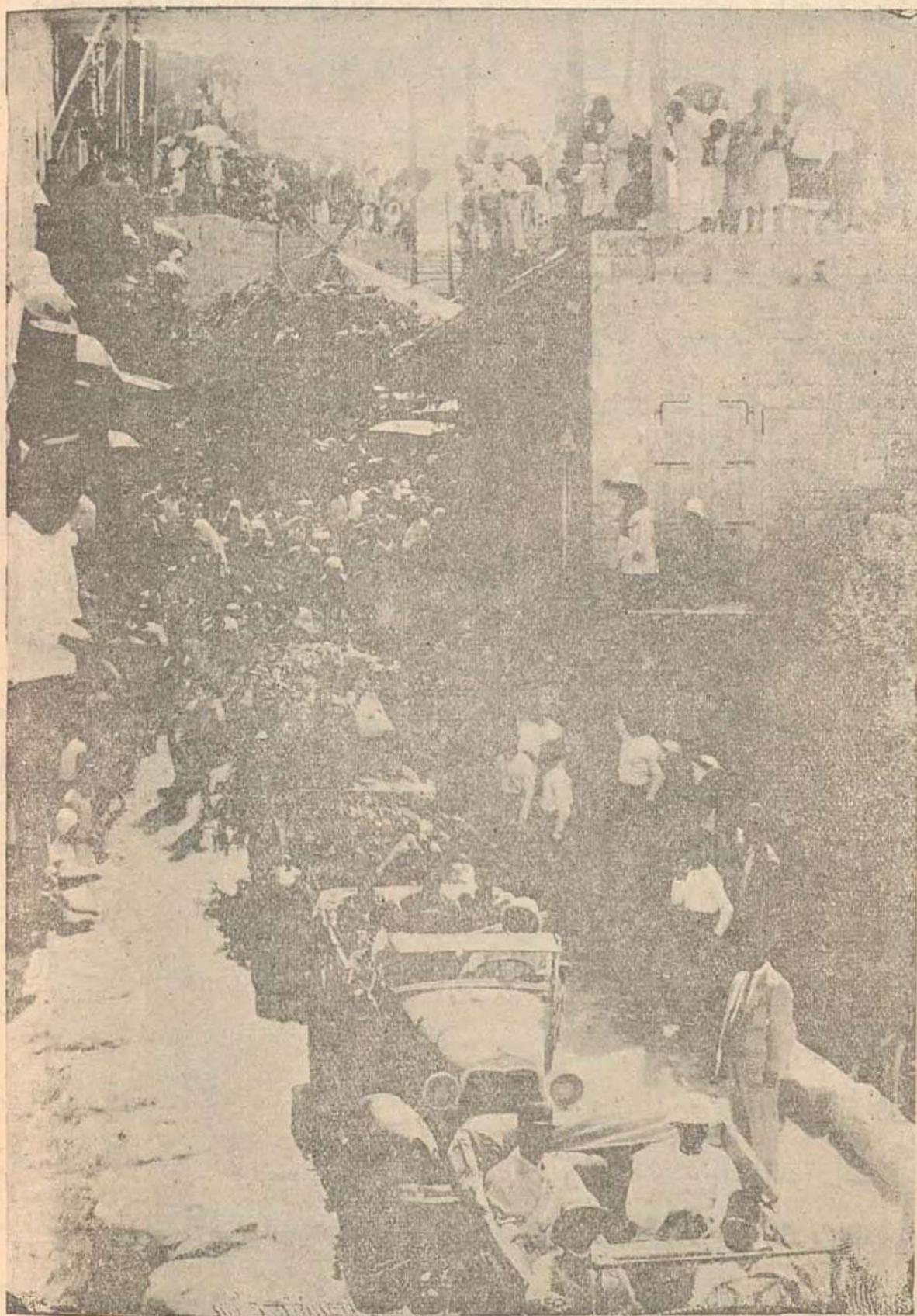


جبرانه فلبيل جبرانه

صاحب المؤلفات الممتعة والآثار القيمة الذي نبغ في الولايات المتحدة نبوغاً عرفه به الغرب والشرق ومع انه مسيحي المولد والنشأة فقد مدح الإسلام وأثنى على نبي المسلمين بما هو أهلها مما دل على انصافه وتجده وشاءت الأقدار أن يموت جبران عن ثروة لا بأس بها جاءته من بعض كتبه التي طبعت في الانكليزية حتى كررت طبعها مرات اثانية وطبع من بعضها سبعون الف نسخة أوصى جبران بثروته البالغة زهاء الأربعين ألف دولار (خمسون الف ليرة سورية) لشقيقته الوحيدة ولبلدة (بشراي) التي ولد في بيت حقير فيها فكان له من مكتبه الأدية ومن ثروته ذاك الاحتفال الفخم الذي لم يتتسن لأكبر علماء وأدباء لبنان من قبله كاليازجيين والبستانيين والشرتونيّين وغيرهم من أعلام العلم والأدب ، ومن ضربوا باسمهم وافر من لغة العرب .

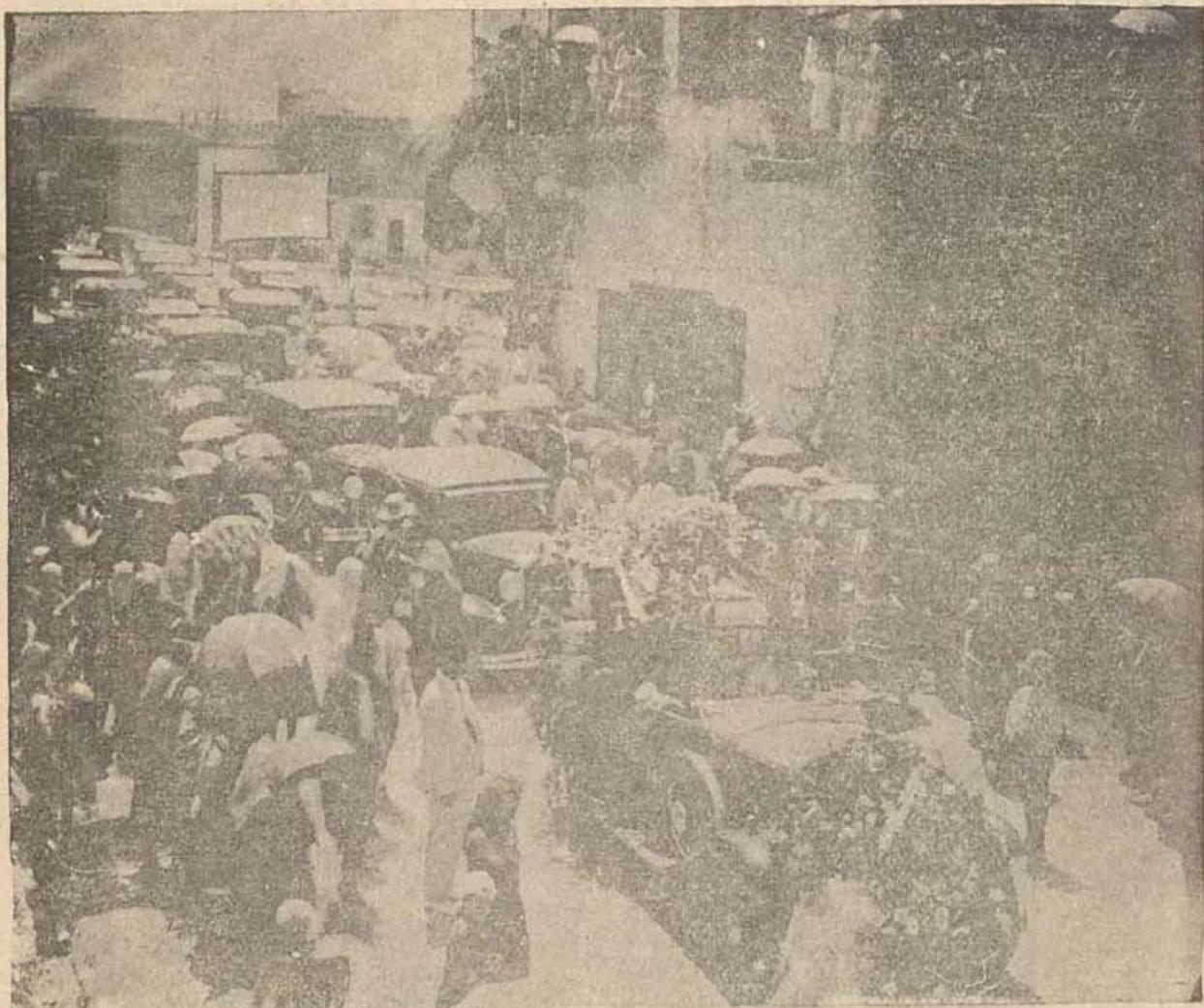
اقترحوا احضار جثمان جبران لبلده بشراي ليُدفن بها في ظلال الأرض الخالد فأحضرت بتابوت ثمين جداً صيغ منقوشاً من معدن الألومنيوم الشمين ولما وصلت الجنة بيروت احتفل بنقلها من الرصيف لكنيسة القديس جاورجيوس احتفالاً مهيباً مشي به رجال السلطة والوطنيون وكان ممن حضر في الكنيسة مكرم بك عبيد ناموس الوفد المصري .

وأقيمت في المسرح الكبير حفلة تأبينية حافلة فغص المكان بها على رحبه وعلى ما كان من حر شديد أسمال من الحاضرين احواضاً من العرق او جمعت وترأس الحفلة رئيس الجمهورية اللبناني وانبرى الخطباء والشعراء ينترون الدرر وينظمون الثنائي ، وفي اليوم الثاني نقل التابوت من بيروت بشري تواكب عشرات السيارات وكلها وصل الموكب لمدينة اوقرية او مزرعة في الطريق استوقفه اجتماع الأهلين الذين يقدمون المرطبات لمن صاحب موكب صاحب الموكب ويملئون الخطيب والمرأة بمادل على كرم اللبنانيين العاتق واريجيّتهم وهكذا فقد دام سير الموكب من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة السادسة مساءً مع ان المسافة لا تزيد على اربع ساعات فكانت عشرة



الموكب في كوسبيا ويظهر في الطاولة سيارات ممثل المفروض السامي والأميرال (البرق)

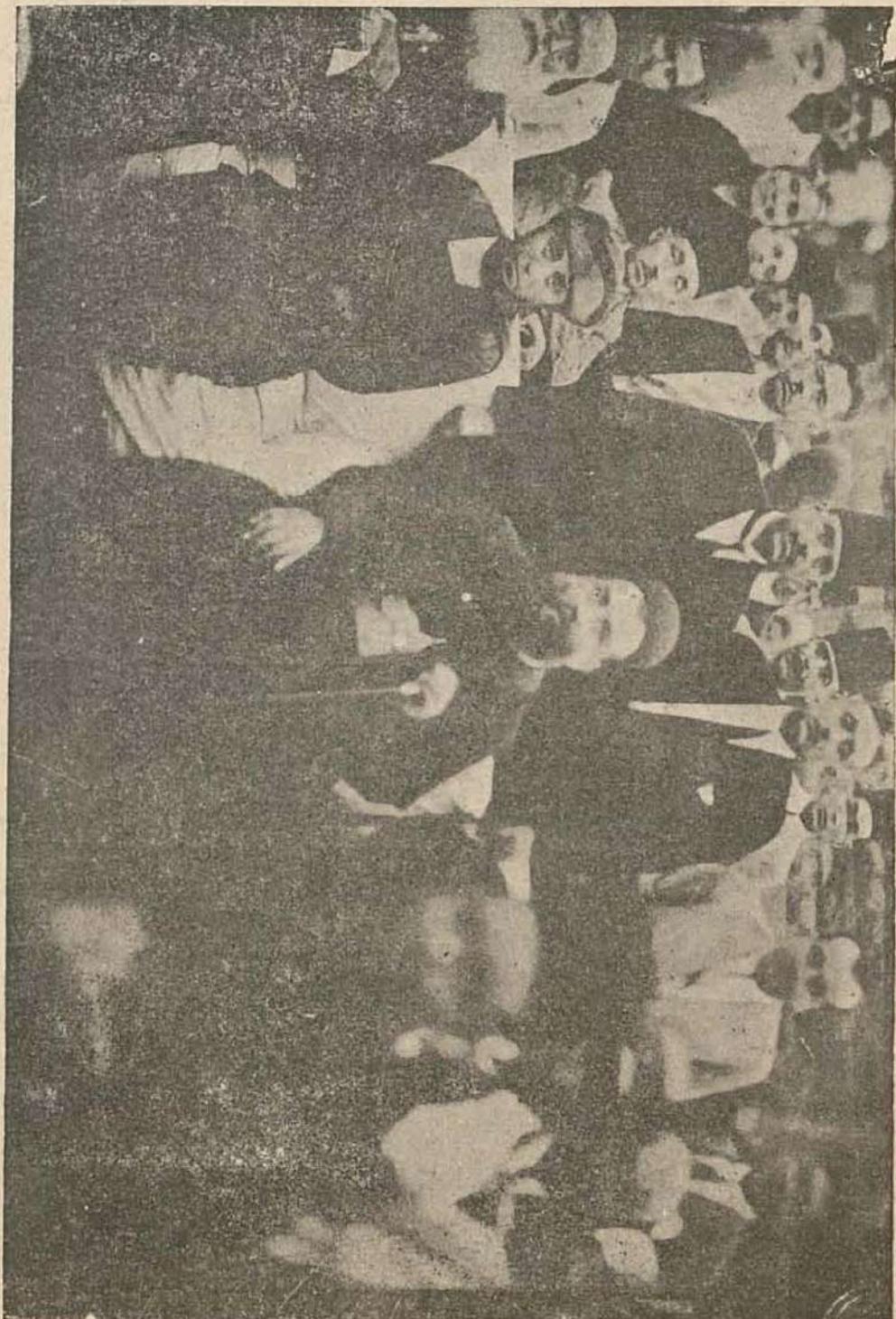
كنا من صحب هذا الموكب الفخم مع رفاق كرام ومنهم الأستاذ سليمان سعدي رئيس الجامعة العلمية بدمشق .



الموكب في انفه وظهور في طليعته سيارة النعش مزданة بالـ كاليل (البرق)

واتفقنا مع بقية الصحب بعد أن انقضت الحفلة التي تبارى فيها الخطباء والشعراء، وكان من الحيدرين بها فؤاد جرداق شاعر المرج الذي تلا قصيده وهو لبس الكوفية والمعقال باسم حص وحمة وسلمية . اتفقنا على أن نقضي ليلتنا في فندق الأرز وصحبنا الدكتور عبد المسيح محفوظ الذي برع في هذه الآونة بشعره الجزل وقصائده الرقيقة . ثم عدنا ظهراً وحضرنا الحفلة التي كانت برئاسة وزير الداخلية موسى بك غور وقد افتتحها بخطاب أنيق وتبارى الخطباء والشعراء زهاء

أربع ساعات فكانوا لا يقلون عن خمسين خطيباً وشاعراً، لكن الحفلة مع كثرة الازدحام بها ومع جودة ما تلي بها من شعر ونثر وأناشيد كانت خالية من كل نظام وترتيب ومع ما عرف به البشر أويون من الكرم العربي اللبناني لم تكن ضيافاتهم منتظمة وكان الغريب لاسيما المسلم غير مستوف حقه ٠٠٠



أخذ هذا الرسم في بيروت وتنظر فيه سقية جبران وإلى جنبها سعادة المطران عريضة والمطران عقل (البرق)
ووراءها حضرة الشيخ كسروان المخازن وحافظ الثعالب وحضره النائب الشيّوخ يوسف إسطفان

ومن المصادرات الحسنة أَنَّا التقينا قبل الحفلة في الاستاذ الجليل الشيخ محمد

التفتازاني رئيس الطريقة الغنيمية في مصر^(١) وهو من لهم في مصر مكانة علمية ووجاهة رفيعة وكان حاضراً وزيراً الداخلية والأستاذ الغلاياني وغيرهما من أهل العلم والوجاهة ولما دعى الحضور للغداة قرئت أسماء المدعون وكان اسم المسلمين بهامتأخر فغضب الأستاذ التفتازاني غضبة مصرية ولا غرو فهو من مضر بالصوميم وتدارك الأمر عقلاً، القوم وقضى الأمر لكن حصل في الحفلة مشكل آخر أيضاً انسحب على أثره المطران عبد الله والأستاذ التفتازاني

«أرز» تعلو بشرابي عن سطح البحر ١٥٠٠ متر لكن فندق الأرز يعلو ١٩٥٠ متر وغاية الأرز نفسها ينادى علوها الفي متر

قضينا ليلة بهجة في فندق الأرز وبتنا ليتلتنا في خيمة (جادر) وأحسينا في آخر الليل ببرد يوازي برد كانون في الساحل

وأبهج من تلك الليلة اليوم الثاني الذي ضمنا في غابة الأرز الجميلة ولفيف من الأصدقاء والرصفاء ولما دعينا لكتابية كلمة في سجل كنيسة الأرز كتبنا هذا البيت
لبنان يكفيه فخرا حين يتسب

ومع ان شجر الأرز يوجد في غير لبنان وفي اماكن كثيرة من لبنان فقد تفردت هذه الغابة في عظم شجرها وضخامتها ويبلغ عددها زهاء اربعين شجرة كانت جذع واحدة منها كنيسة قبل بناء الكنيسة الحالية وهناك شجرة ضخمة تصورنا وفريقا من الرفاق عدة صور في ظلها وهي التي حفر عليها لاما ترين الشاعر الفرنسي الشهير اسمه

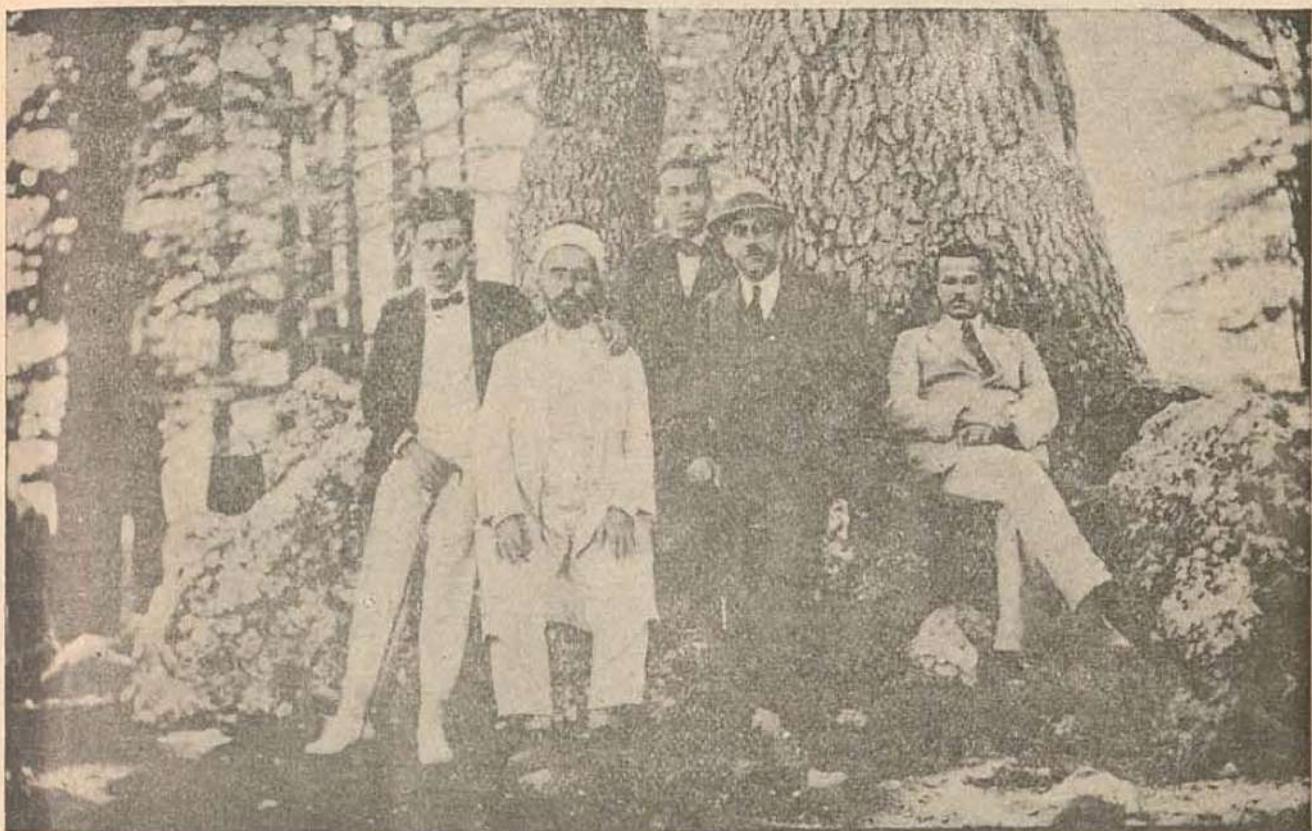
وشجر الأرز يعيش آلاف السنين ولا يفني خشبها وهذا سقف هيكل داود منه ولم يزل منذ اربعة آلاف سنة فلا بدع إذا تخذ اسمه رمزًا لاخليود وإذا فخر به اللبنانيون وجعلوه رمزاً لشعارهم دعروسة اشعارهم قال المرحوم داود بك عمون

يا نبى أمي إذا حضرت ساعي والطب اسلامي
اجملوا في الأرز مقبرى وخذوا من تلجه كفى

وتنسى لنا دخول مغارة قاديشا على الأضوا، الكهربائية فرأينا في ذاك النفق العظيم الذي يتدفق منه قاديشا الزلال من أسفله من عجائب صنع الطبيعة ما يدهش العقول فـاين طول السنين كونت في جدر وسطح المغارة صور شتى بهيئة شموع صغيرة وكبيرة مما لا يمكن للأواعصف أن يأتي

(١) رأينا من عواطف التفتازاني وعوارفه ما اعجبنا به غاية الاعجاب واستفنا جداً ان الاجتماع كان قليلاً ولا عرج على صيده، كما في المصيف

على كنه حسنه منها أبلغ وبالغ . وعدنا من تلك الرحلة صحبة الشقيقين الأستاذين الشيخ نديم وال الحاج جمال الملاح فقضينا ليالينا في ضيافتهما بطرابلس وزرنا في اليوم التالي «سir» مصيف الطرابلسين فرأينا من حسنه وجماله الشيء الكثير وكانت خاتمة المطاف وفاتها الأطاف عودنا لبيروت برفقة صديقنا الاستاذ الغلاياني الذي نقف على تعريفه في غير هذا المكان وهو العجدير بقول الشاعر
فأو صورت نفسك لم تردها على ما فيك من كرم الطبع



وبقي صور غير هاتين لم تصل بنا لنشرها